تفسير ابن كثير

يقول تعالى آمرا عباده أن يوحدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة في قوله تعالى : { وأن المساجد ﷲ فلا تدعو مع اﷲ أحدا } قال : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا باﷲ فأمر اﷲ نبيه صلى اﷲ عليه وسلّم أن يوحدوه وحده وقال ابن أبي حاتم : ذكر علي بن الحسين حدثنا إسماعيل بن بنت السدي أخبرنا رجل سماه عن السدي عن أبي مالك أو أبي صالح عن ابن عباس في قوله : { وأن المساجد ﷲ فلا تدعو مع اﷲ أحدا } قال : لم يكن يوم نزلت هذه الاية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس وقال الأعمش : قالت الجن : يا رسول اﷲ ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل اﷲ تعالى : { وأن المساجد ﷲ فلا تدعو مع اﷲ أحدا } يقول : صلوا لا تخالطوا الناس وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن محمود عن سعيد بن جبير { وأن المساجد ﷲ فلا تدعو مع اﷲ أحدا } قال : قالت الجن لنبي اﷲ صلى اﷲ عليه وسلّم كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون ؟ أي بعيدون عنك وكيف نشهد الصلاة ونحن ناؤون عنك ؟ فنزلت { وأن المساجد ﷲ فلا تدعو مع اﷲ أحدا } .

وقال سفيان عن خصيف عن عكرمة : نزلت في المساجد كلها وقال سعيد بن جبير : نزلت في أعضاء السجود أي هي ﷲ فلا تسجدوا بها لغيره وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد اﷲ بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس Bهما قال : قال رسول اﷲ صلى اﷲ عليه وسلّم : [أمرت أن أسجد على سبعة أعظم : على الجبهة ـ أشار بيده إلى أنفه ـ واليدين والركبتين وأطراف القدمين] وقوله تعالى : { وأنه لما قام عبد اﷲ يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا } قال العوفي عن ابن عابس يقول لما سمعوا النبي صلى اﷲ عليه وسلّم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه { قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن } يستمعون القرآن هذا قول وهو مروي عن الزبير بن العوام Bه وقال ابن جرير : حدثني محمد بن معمر حدثنا أبو مسلم عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم : { لما قام عبد اﷲ يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا } قال : لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال : عجبوا من طواعية أصحابه له قال : فقالوا لقومهم { لما قام عبد اﷲ يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا } وهذا قول ثان وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضا وقال الحسن : لما قام رسول اﷲ صلى اﷲ عليه وسلّم يقول لا إله إلا اﷲ ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعا .

وقال قتادة في قوله : { وأنه لما قام عبد ا يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا } قال : تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى ا إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه وهذا قول ثالث وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد وهو اختيار ابن جرير وهو الأظهر لقوله بعده : { قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا } أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته { إنما أدعو ربي } أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه { ولا أشرك به أحدا } وقوله تعالى : { قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا } أي إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وعبد من عباد ا ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع في ذلك كله إلى ا D ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من ا أحد أي لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذي من عذابه { ولن أجد من دونه ملتحدا } قال مجاهد وقتادة والسدي : لا ملجأ وقال قتادة أيضا { قل إني لن يجيرني من ا أحد ولن أجد من دونه ملتحدا } أي لا نصير ولا ملجأ وفي رواية : لا ولي ولا موئل .

وقوله تعالى : { إلا بلاغا من ا ورسالاته } قال بعضهم هو مستثنى من قوله : { قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا } { إلا بلاغا } ويحتمل أن يكون استثناء من قوله : { لن يجيرني من ا أحد } أي لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها علي كما قال تعالى : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وا يعصمك من الناس } وقوله تعالى : { ومن يعص ا ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا } أي أنا أبلغكم رسالة ا فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبدا أي لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها وقوله تعالى : { حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا } أي حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا هم أم المؤمنون الموحدون تعالى أي بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عددا من جنود ا D